التجارة بين مدن بلاد المغرب
في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي

دكتور/عوده حسان عواد أسعيد أبو شيخه
أستاذ مساعد – قسم التاريخ
كلية التربية – جامعة عين شمس

مقدمة

أدى تقليص سلطة الخلافة الإسلامية في بلاد المغرب إلى استقلال القبائل بمضاربها في بلاد المغرب وتأسيس مدن جديدة، والبحث عن مصادر اقتصادية جديدة ترتكن إليها في تكوين مؤسساتها، وإيجاد قوة أمنية لبسط سلطانها على رعاياها، وقوة عسكرية للدفاع عنها في مواجهة جيرانها خاصة أنه قامت دول على مذاهب مختلقة، والتصدي للخلافة العباسية إذا ما حاولت استعادة سلطانها على بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة. فمن المعلوم أن الخلافة الأموية بسطت نفوذها على بلاد المغرب كله؛ حتى قامت ثورة البربر سنة 122هـ / 740 م وقلصت سلطة الخلافة الأموية عن المغربين الأقصى والأوسط سنة 124هـ / 742 م؛ فأمست البلاد منطقة فراغ سياسي تنتظر الطامعين في السلطة من أهل البلاد أو غيرهم لتأسيس ملك له، وبدأت ذلك قبيلة برغواطة بإحياء مدينة سلا باتخاذ عاصمة لأمارتها سنة 122هـ / 740 م وبسطت سلطانها على بعض الأقاليم حولها، وسلك الخوارج مسلكها بتأسيس مدينة سجلماسة والاستيلاء على المناطق المتاخمة لها وأنشأت إمارة بني مدرار الصفرية سنة 140هـ / 757 م بمساندة القبائل الضاربة هناك والتي اعتنقت المذهب الصفري، بيد أنهم لم يبسطوا نفوذهم على شمالي المغرب الأقصى، فظلت منطقة فراغ سياسي استغله أفراد من البيت العلوي لنشر مذهبهم، حتى فر أحدهم وهو إدريس بن عبد الله من المشرق تحت وطأة مطاردة العباسيين له، إلى المغرب الأقصى وساندته قبيلة أوربة وبايعته فأسس مدينة فاس واتخذها عاصمة لملكه سنة 172هـ / 789 م وبسط سلطانه على المغرب الأقصى حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط.

لم يكن الخوارج الإباضية بالمغرب الأوسط وإفريقية أقل طموحًا من إخوانهم الصفرية؛ فأسسوا مدينة تاهرت سنة 144هـ / 761 م واتخذوها عاصمة لهم وتصدوا لجيوش بني العباس التي أرادت استعادة سلطانها هناك، واختاروا عبد الرحمن بن رستم أميرًا لهم، وقامت بذلك الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، وانتهى بذلك نفوذ الخلافة على المغربين الأقصى والأوسط، خشيت الخلافة العباسية ضياع نفوذها على المغرب الأدنى وإفريقية خاصة بعد أن خلع عبد الرحمن بن حبيب طاعتهم واستولى على القيروان سنة 135هـ / 752 م واتخذها قصبة لحكمه، وعمل على التوسع غربًا، ولكن صدته قبائل بني يفرن التي استقلت بمدينة تلمسان أهم مدن المغرب الأوسط وما حولها من الأقاليم، وإعلان قيام إمارة مستقلة بها سنة 129هـ/ 746 م، أرسلت الخلافة العباسية جيوشها، واستعادت سلطانها على بعض المغرب الأدنى فتصدى الإباضية والطامحين إلى السلطة لجيوش العباسيين، وتواصلت المعارك لمدة أربعة عقود لم تتمكن الخلافة العباسية من تحقيق نجاحات تذكر؛ فارتضت أن تمنح إبراهيم بن الأغلب أحد قادتها السلطة على ما تحت يدها في المغرب الأدنى ليكون له ولأولاده من بعده؛ على أن يكون تابعًا للخلافة سنة 184هـ/

800 م والحق أنها كانت تبعية اسمية لا تزيد عن الدعاء للخليفة العباسي على منابر الدولة الناشئة.

اكتمل استقلال بلاد المغرب بقيام دولة الأغالبة سنة 184هـ / 800 م، والتي بحكم موقعها تمثل بدايات الطرق التجارية في بلاد المغرب، ومنطلقها إلى مصر والمشرق الإسلامي، وبذلك تواصلت الطرق بين مدن المغرب بأقسامه الثلاثة. عملت الدول والإمارات التي سبق قيامها على إصلاح الطرق بداخلها وتعبيدها لحركة التجارة، وإقامة مدن جديدة عليها، وإحياء المدن الواقعة عليها، ببسط الأمن عليها وعلى الطرق التي أصبحت طرقًا تجارية، واهتمت بالإنتاج الزراعي أفقيًا ورأسيًا، وجلبت محاصيل جديدة إلى بلاد المغرب وخاصة المحاصيل النقدية، وأمنت رعاياها، ورخصت لهم العمل بالتجارة واهتمت بنظام الري وتخزين مياه الأمطار فازدهرت المحاصيل المعاشية أيضًا، نجم عن ازدهار الزراعة والرعي وفرة في الإنتاج الحيواني التي أدت دورها في ازدهار حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب من منتجات ووسائل حمل وكذلك الحراسة. اهتم أهل البلاد بالتعدين أيضًا. والصيد، فازدهرت الصناعات التي اعتمدت على الإنتاج بمختلف أنواعه من زراعة وثروة حيوانية وتعدين وصيد.

احتاج إحياء المدن القديمة على الطرق وتأسيس مدن أخرى وبسط الأمن، وزيادة الإنتاج عقود حتى اكتملت البنية الأساسية لحركة التجارة ثم ازدهارها، خاصة بعد أن اكتمل استقلال بلاد المغرب الأدنى بقيام دولة الأغالبة سنة 184هـ / 800م التي تحكمت في بداية الطرق التجارية كما سبقت الإشارة، وبسط الأمن على الطرق التجارية بداخلها، وتسامع دول العالم الإسلامي بثراء بلاد المغرب ونشاط حركة التجارة بها، فقصدها التجار من كل حدب وصوب، فازدهرت حركة التجارة وطبقت شهرتها ربوع العالم الإسلامي مع بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، الذي يعد البداية الحقيقية لازدهار حركة التجارة؛ فكان ازدهار حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب وعبر طرقه في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي موضوع الدراسة والتي تناولت النقاط التالية:

التجارة عبر المغرب الأوسط كحلقة وصل بين المغربين الأدنى الأقصى.

الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وأهم منتجات المدن الواقعة عليها.

التعدين والصناعات المختلفة ودورها في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب.

الصناعة وإثراء حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب.

دور موانئ بلاد المغرب الأقصى في تنشيط حركة التجارة، وأهم مدنه التجارية.

احتلت التجارة مكانة مرموقة بين مدن بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، تلك المكانة التي نالتها هذه المدن بسبب نشأتها على خطوط التجارة فضلًا عن إنتاجها الزراعي والتعديني، وحازت أقسام بلاد المغرب الثلاثة الأدنى، والأوسط والأقصى قصب السبق في ذلك؛ وأن تفردت وازدهرت حركة التجارة في المغرب الأقصى عن باقي أقسامه الأخرى ويتضح هذا من خلال الوقوف على طرق التجارة في بلاد المغرب، كذا طبيعة الإنتاج الزراعي والصناعي والتعديني ودورهم في ازدهار مدن بلاد المغرب وحركة التجارة بصفة عامة، ولارتباط النشاط التجاري بالإنتاج الزراعي في بلاد المغرب بصفة خاصة(1). كما أن الموارد الاقتصادية في الشمال الإفريقي كانت تغطي أقاليمه الثلاثة المتمثلة في المغرب الأدنى، والأوسط، والأقصى، وهذا أدى إلى ازدهار التبادل التجاري بينهما(2)، ولعل أهم الطرق التجارية بين المغرب الأدنى والأوسط تتمثل في الآتي:

طريق يبدأ من القيروان – مجانة، وذكر البعض أن المسافة بينهما بطول أربع مراحل(3) – مسكيانة – باغاية – بلزمة – طبنة(4) - مقرة – حتى قلعة أبي الطويل، تلك القلعة التي حظيت بأهمية خاصة حيث قصدها التجار من المشرق الإسلامي وبلاد المغرب على السواء(5).

طريق آخر يبدأ من القيروان – أزقور – سوق ماكس الواقع على وادي شلف – سوق حمزة، بنو جناد – حتى مرسى الدجاج(6) وهذا الطريق حظي بأهمية تجارية كبيرة بين المغربين الأدنى والأوسط خاصة بعد تأسيس مدينة المسيلة بعد قيام الخلافة الفاطمية في سنة 315هـ / 927 م(7)؛ وذكر المقدسي أن مدينة المسيلة تقع على نهاية حدود إفريقية وتبعد عن مدينة تاهرت ثلاثة أيام(8)، ولقد شكل هذا الطريق أهمية اقتصادية وإستراتيجية كما ذكر أحد الباحثين(9)، بل كان محورًا للصراع بين قبائل صنهاجة وبني برزال من أجل السيطرة على هذا الطريق التجاري الهام(10).

كذلك من أهم الطرق التجارية والتي تبدأ من القيروان – الطريق من القيروان إلى وهران بالمغرب الأوسط ويمر بالمدن التالية، القيروان – جمونس الصابون – قفصة – توزر – نفطة – سماطه – قيطون بياضه – بادس – تهودا – بسكرة – ساقية بن خزر – العلويين – قصر منصر بن سنان – سوق عبيدون بن سنان الازداجي – تانسالمت – ثم وهران بالمغرب الأوسط(11)، ونظرًا لأهمية هذا الطريق التجاري؛ فقد تصارعت عليه بطون قبائل بني واسين مع قبائل بني يفرن المقيمة على أطراف مدينة توزر(12)، وامتد نفوذها ليشمل السيطرة على معظم بلاد الجريد(13)، وإن شاركتها الصراع في هذه المنطقة بعض بطون قبائل زناتة بزعامة منصور بن سنان، والذي شيد في مدينة بسكرة وعلى هذا الطريق قصرًا نسب إليه(14) وأصبح صاحب السيادة على هذا الطريق لفترات، كما دخلت قبيلة مكناسة في هذا الصراع الاقتصادي التجاري حيث كانت تقيم حول مدينة وهران(15)، وتقاسمت النفوذ على هذا الطريق مع القبائل الأخرى(16).

شكلت مدينة القيروان أهمية خاصة في المغرب الأدنى على صعيد حركة التجارة؛ إذ سارت القوافل التجارية منها إلى المغرب الأوسط ومن أهم هذه الطرق على سبيل المثال: طريق القيراون – سبيبة – مجانة – تيجس – دوفانة – طبنة – جوزا – هاز – جرتيل – وصولًا إلى مدينة تاهرت(17) بالمغرب الأوسط، وقد ذكر البعض أن المسافة بين القيروان

وتاهرت تقطعها القوافل التجارية في مسيرة شهر(18)، والحقيقة أن مدينة القيروان تعتبر ملتقى طرق القوافل التجارية الآتية من المغرب الأوسط ومدنة وكذلك المغرب الأقصى، كما ارتبطت معظم الطرق التجارية الساحلية بمدينة القيروان.

ومثلت الزراعة ركيزة أساسية في حركة التجارة؛ فقد تأثرت الزراعة بحالة الأمن والاستقرار؛ إذ تزدهر وقت السلم والاستقرار، وتتعرض للنهب إبان الحروب والصراعات، مما يضطر أهلها إلى الفرار منها وهجرها(19)، وما من شك في أن سكان الشمال الأفريقي لا يعملون جميعًا بالتجارة وإن ساهموا جميعًا فيها سلبًا أو إيجابًا فمنهم من يعمل بالزراعة والرعي والتعدين ومنهم من هو كان على بداوته والعمل بقطع الطريق والهجوم على المزارع وانتهابها وزاد ذلك في فترات التمرد وضعف الأمن(20)، ورغم ذلك لم تتوقف حركة التجارة في بلاد المغرب.

التجارة عبر المغرب الأوسط كحلقة وصل بين المغربين الأدنى والأقصى

شكل المغرب الأوسط حلقة وصل بين المغربين الأدنى والأقصى، إذ يكمل التجار طريقهم قادمين من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى عبرة مما يحتم رصد طرق التجارة المارة به والطرق التجارية الداخلية به ويعد الطريق الذي يبدأ من تاهرت وينتهي في تلمسان، مروراً بمدينة بلل – مدكرة – تيملاص – إيزرج وحتى تلمسان(21)، أحد الطرق الداخلية بالمغرب وعلى هذا الطريق تقل أعمال اللصوصية وقطع الطريق، لأنه يمر بمناطق يسودها العمران، رغم أن طوله مسيرة خمسة وعشرين يومًا(22)، ونظرًا لأهميته التجارية فقد كان مجالًا للصراع لبسط النفوذ عليه بين القبائل المقيمة حوله وعلى رأسها قبائل مغراوة(23) واستولت قبائل مطماطة على معظم المناطق الواقعة على هذا الطريق وحول مدينة إيزرج وأسسوا لهم إمارة هناك عرفت بإمارة تيملاص(24)، ودخلت قبائل من بني يفرن في هذا الصراع على الطريق التجاري الهام وأسست لها أسواقًا لتصريف منتجاتها، كما استولت على بعض أقسامه(25).

تعددت الطرق التجارية القادمة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط، ومن هذه الطرق الطريق الذي يبدأ من قلعة أبي الطويل – مدينة الغدير – أشير سوق هواره – سوق كران – مليانة – بنو واريغن – تنس – سوق إبراهيم – الغرة – شلف – عين الصفاصف – قرية العلويين – تلمسان(26). ودخلت قبائل هوارة، في صراع مع بطون من قبيلة بني دمر المسيطرة على هذا الطريق(27)، من أجل الاستحواذ عليه، ولم تقف بقية القبائل على هذا الطريق مكتوفة الأيدي، بل تصارعت مع قبائل أخرى ومنها قبيلة أوربة وهوارة المقيمة حول جبل وانشريس(28). مع بطون من قبائل مكناسة المقيمة بمنطقة جبل راشد (29) وما حولها، غير أن النفوذ الأكبر على هذا الطريق التجاري وخاصة حول مدينة تلمسان كان لأمراء قبيلة مغراوة الذين سيطروا على الكثير من أعمالها(30)، ورغم أن بطون بني يفرن ينتمون لقبيلة زناتة مثلهم مثل مغراوة، إلا أن الاقتصاد والهيمنة على طرق التجارة لا يعرف عصبية الدم بل عصبية المصالح، لذا دخلت بطون بني يفرن في هذا الصراع على الطريق التجاري الهام وسيطروا على بعض المناطق الواقعة حول مدينة تلمسان(31) وما حولها وارتبط طريق آخر تفرع عن هذا الطريق هو منطلقًا من مدينة أشير- المدية – متيجة – فزرونة – مدينة أغزز – جزائر بني مزغناي، وسيطرت بطون من قبيلة بني دمر على هذا الطريق، واتخذ زعمائهم حصونًا لهم على مسافة ثلاثة أيام من مدينة متيجة(32)، لكي يحكموا قبضتهم على هذا الطريق الداخلي بالمغرب الأوسط، كذلك وتعددت الطرق الفرعية

المتصلة به منها طريق: شلف – الغرة – قلعة دلوم – مستغانم بالمغرب الأوسط، وسيطرت بطون من قبيلة مغراوة على هذا الطريق (33)، بل أن بطون قبيلة مغراوة كانت صاحبة اليد الطولي على المنطقة الممتدة من وادي شلف وحتى الصحراء جنوبًا(34).

وامتد طريق آخر عن تاهرت – تاغريبت – جبل مطماطة – تاجموت – الغرة – تنس، وقد سيطرت قبيلة مغراوة على مدينة تاهرت رأس هذا الطريق فترات متقطعة(35)، وإن نازعتهم بطون من بني يفرن أيضًا في السيطرة على هذا الطريق التجاري الهام، حتى أنهم دخلوا في حروب متعددة، وكذلك صراعهم مع دولة بني رستم أخريات عهدها. وتقاسموا معها النفوذ على عاصمة ملكهم مدينة تاهرت(36).

لعبت مدن المغرب الأوسط الواقعة على خطوط التجارة عبرة دورًا مهمًا في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب أخريات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، فساهمت تلك المدن بإنتاجها الزراعي والصناعي والتعديني في إثراء حركة التجارة علاوة على إنها كانت حلقة وصل بين مدن المغربين الأدنى والأقصى وأهم هذه المدن مدينة تلمسان أهم مدن المغرب الأوسط قاطبة، وبداية الطرق التجارية المنطلقة إلى المغرب الأقصى ومدن منطقة بلاد الزاب مثل مدن هياجة وتولغة وتنس ووهران وكذلك مدينة وارجلان الواقعة في الصحراء جنوبي المغرب الأوسط وجزائر بني مزغناي ومستغانم وهذه المدن، وإذا ما نظرنا لخطوط التجارة بالمغرب الأوسط نجدها هي المتحكمة فيها والواقعة عليها فلا بد أن تمر بها حركة التجارة بل كثر الصراع والحروب على أمتلاكها من القوى المتصارعة عليها آنذاك.

تعتبر مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، بل أهم مدنه وقد تبادلت بطون من بني يفرن وأخرى من مغراوة السيطرة عليها (37) في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، واسم المدينة مركب من كلمتين: تلم، سان، وهي تعني اثنين البر والبحر أو الصحراء والتل(38) وذكر البعض أنها وصفت بذلك لأنها مدينة تجمع في موقعها بين السهول والجبال(39)؛ إذ أنها تقع في سفح جبل في وادي شلف(40)، لذا تمتعت تلمسان بخصوبة أراضيها وكثرة إنتاجها الزراعي الذي عزز حركة التجارة وشارك أهلها في حركة التجارة وجنوا الكثير من الأرباح من فيض إنتاجهم الزراعي، بل أسس أهلها الكثير من العمائر والقرى التي باتت تابعة لها(41)، ولما كانت مياه نهر شلف تغذى أراضيها، فقد زاد إنتاجها من الحبوب والفاكهة وقام أهلها بتصدير فائض إنتاجهم إلى مدن بلاد المغرب الأخرى، وعمل أهلها بالرعي أيضًا وصدرت إنتاجها من الماشية والأغنام إلى الأندلس، لما وصفت به من رخص سعرها وطيب لحومها(42)، وانعكس ذلك على مساهمة أهل تلمسان في الصناعات التي تدخل في حركة التجارة، فقد ازدهرت فيها صناعة الثياب الصوفية (43) وانعكس اهتمام أهلها على المشاركة في حركة التجارة وتصنيعهم متطلبات الإبل التي شكلت أهم وسائل حمل البضائع من أقتاب وأرسان وكذلك متطلبات الخيل التي ساهمت في تأمين حركة التجارة أو إنتهابها مثل السروج واللجم، حتى قال البعض أن الفارس يجد كل ما يحتاجه في أسواق تلمسان(44)، واهتم أهل تلمسان أيضًا بصناعة البسط التي وصفت بجودتها الفائقة(45)، والتي وصفت بكبر طولها وصغر عرضها، وقلة الألوان المستخدمة فيها، وغلبة الزخارف الإسلامية عليها، وإن زاد استخدامهم للون الأحمر في نقوشها(46).

معلوم أن مدينة تلمسان آنذاك أصبحت تتحكم في التجارة وطرقها بين المغربين الأدنى والأوسط والمغرب الأقصى؛ حتى أن كثير من المدن التجارية في المغرب الأوسط مثل تنس ووهران توقف ازدهارها التجاري عل مدى ارتباطهما بمدينة تلمسان وهما اللتان تم إنشاؤهما من أجل الاتصال التجاري بين المغرب والأندلس(47)، وكانتا مع مدينة

أرشقول عبارة عن مرفأ لمدينة تلمسان(48)، وذلك لوقوع تلك المدن على ساحل البحر المتوسط المقابل لمدينة تلمسان ولهم مراسي مأمونة ويكثر وفود المراكب التجارية عليها، وأسواقها مملوءة بالبضائع ويكثر فيها البيع والشراء(49)، لأن الأهمية التجارية للمدن تتوقف على مدى اتصالها بالساحل أو الداخل، لهذا كله أصبحت مدينة تلمسان تتمتع بموقع تجاري وإستراتيجي هام، في العصور الوسطى(50)، ونجح أهلها في عقد اتفاقيات تجارية مع معظم المدن التجارية بالمغربين الأوسط والأقصى، مما مكنهم من السيطرة على الطرق التجارية(51)، كذلك حظيت تلمسان بأهمية تجارية لارتباطها بالمغرب الأقصى عن طريق ممر تازا، فهو الطريق التجاري الوحيد بين المغربين الأوسط والأقصى(52)، حتى حظيت تلمسان بأهمية خاصة في حركة التجارة إلى مدن المغرب الأقصى مثل مدينتي سجلماسة وفاس لكونهما المراكز الرئيسية المتحكمة في التجارة مع بلاد السودان، فإذا كانت سجلماسة أهم مدخل لطرق التجارة إلى بلاد السودان والأكثر شهرة(53)، فإن تلمسان تقوم بتوزيع هذه التجارة إلى إفريقية والمشرق الإسلامي والأندلس وحوض البحر المتوسط (54)، بمعنى أن تلمسان أصبحت حلقة وصل والطريق التجاري الهام بين مصر والمشرق من ناحية والمدن التجارية بالمغرب الأقصى مثل مدينة سجلماسة وكذلك بلاد السودان من ناحية أخرى (55).

ومعلوم أن منطقة الزاب بالمغرب الأوسط من أهم محاور التجارة في بلاد المغرب وتلك المنطقة تحظى بأهمية إستراتيجية واقتصادية (56) وذلك لأنها تتحكم في أهم طرق التجارة الداخلية (57)، بل أن هذه المنطقة تعتبر التقاء الطرق الصحراوية والسهلية والجبلية عبر وادي شلف إلى منطقة الساحل (58)، أما مدينة قيطون بياضة فقد حظيت بأهمية تجارية خاصة، إذ تمثل مفترق الطرق التجارية والتي تتفرع منها إلى القيروان وطرابلس وبلاد الجريد ومنها يتجمع التجار ثم يواصلون سيرهم إلى بلاد السودان (59)، ولقد شاركت مدن منطقة الزاب في حركة التجارة بمنتوجاتها الزراعية وتصدير معظمه، على سبيل المثال تميزت مدن هياجة وتولغة بكثرة إنتاجها من القمح(60)، كما تركزت زراعة النخيل في منطقة الزاب، حتى قيل أنه لا يحصى كثرة (61)، وذكر البعض أن هذه المنطقة دون غيرها عرفت بكثرة أشجارها من النخيل وثماره (62)، ولا غرابة في أهمية منطقة الزاب التجارية والإستراتيجية وتعتبر مدينة طبنة أهم مدنها وعرفها البعض بأنها قاعدة بلاد الزاب (63). واشتهرت المنطقة بإنتاج الجوز المعروف بالجودة، كذا إنتاج الحنطة والشعير والقطن (64)، ولقد ساهمت هذه المنتجات كمادة خام في حركة التجارة وخاصة إنتاج القطن؛ لذا ذكر البعض أن نشاط أهل هذه المنطقة واكتساب أرزاقهم من التجارة كان أكثر من الزراعة بمعنى أن أموال أهلها كانت من العمل بالتجارة بالأساس (65).

لعبت مدينة بسكرة دورًا هامًا في حركة التجارة ببلاد المغرب، لكونها المركز الرئيسي لإنتاج التمور، الذي حرص ولاة المغرب على حيازته لما اشتهر عنه من جودة أنواعه، ونظرًا لتميز هذه المدينة بجودة إنتاجها من التمور، فقد عرفت ببسكرة النخيل (66)، وساهم إنتاج هذه المدينة في حركة التجارة حيث صور إنتاجها من التمور الجيدة بأنواعها المختلفة إلى كل بلدان المغرب بل وإلى الأندلس عبر طرق التجارة بين مدن بلاد المغرب (67)، كما اشتهرت بهذه المنطقة مدينة قسنطينة وإنتاجها من التمور رخيصة الأثمان (68)، وكذلك الإنتاج الحيواني لجودة مراعيها وعرف أهلها بكثرة الأموال والثراء نتيجة عملهم بالتجارة وتصدير إنتاجهم من التمور والسمن والعسل والحنطة إلى مختلف البلدان (69)، ونظرًا لنشاط حركة التجارة بهذه المدينة؛ فقد اتسعت أسواقها وتم تقسيمها، حتى أصبح لكل أصحاب مهنة سوقهم الخاص وزادت أعداد التجار القادمين إليها، واشتهر منهم تجار الأقمشة الكتانية والصوفية والحريرية (70).

معلوم أن القوى المهيمنة على حركة التجارة في بلاد المغرب كان يهمها تأمين طرق التجارة، وحرصت الإمارة الأموية في الأندلس على نيل احتياجاتها من منتجات بلاد المغرب، ونيل نصيب من مكاسب حركة التجارة بها، مما حدا بها إلى إيجاد مناطق ارتكاز على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، خاصة وإن أساطيل الأغالبة كانت تسيطر على وسط البحر المتوسط (71) فعملت الإمارة الأموية على إقامة علاقات ودية مع الدول المستقلة بالمغرب رغم الخلاف المذهبي بينهما. مثل إمارة برغواطة (72)، وذلك لكي تفتح لها أسواقًا لمنتجاتها وتصل إلى تجارة السودان.

كما أن الإمارة الأموية بالأندلس لم يكن لها أسطولًا يمكنها به دحر قوة الأغالبة في البحر آنذاك (73)، لذا قام البحريون الأندلسيين وتجار الأندلس بإقامة علاقات ودية وتجارية مع أهل المغرب الأوسط وتأسيس مدن جديدة على ساحل المغربين الأوسط والأقصى لتكون مرافئ للسفن الأندلسية على ساحل الشمال الأفريقي (74)، ومن هنا كان ظهور مدينتي تنس ووهران على ساحل المغرب الأوسط، ومليلة على ساحل المغرب الأقصى وحازت تلك المدن على أهمية تجارية عبر بلاد المغرب، وبعد أن مثلت نهايات لعدد من خطوط التجارة عبر أراضي بلاد المغرب وانطلاقًا إلى بلاد السودان، حيث قصدها التجار وحقق أهلها ثراء كبيرًا وانتشرت حولها الأسواق مثل سوق إبراهيم (75).

ازدهرت مدينة تنس على الصعيد التجاري لما شهده التجار الغرباء فيها من حُسن معاملة أهلها، علاوة على أن أهل تنس شاركوا التجار القادمين في أموالهم؛ فإنهم وسعوا لهم في منازلهم، وتعاونوا معًا في البناء حتى اتسع عمران المدينة (76)، وكثر في المدينة تجار الأندلس وكان معظمهم من مدينتي البيرة وتدمير الأندلسيتين، واتخذوا منها سوقًا وسكنًا بعد أن وعدهم أهلها بالعون والمساعدة وحسن المعاملة والجوار (77)، ومن ثم ازدهرت التجارة بين مدن بلاد المغرب، خاصة وأن فائض الإنتاج الزراعي والحيواني، ساهم في ذلك بسبب خصوبة أراضيها، في كل أقاليمها وأعمالها ومزارعها، أصبحت محط الأنظار ومنزل الرحال، وزرع أهلها الحنطة وسائر الحبوب التي زادت عن الحاجة وحملت بالسفن إلى كل الآفاق (78)، وبصفة خاصة إلى إفريقية وبلاد المغرب والأندلس (79)، كما نزل بها تجار أندلسيون لتسويق منتجات الأندلس والعودة منها بمنتجات المغرب والسودان (80)، ولعبت مدينة تنس دورًا تجاريًا كبير بين مدن بلاد المغرب حتى وصفها البعض أن بها "إقلاع وحط" (81).

لعبت مدينة وهران دورًا بارزًا تفوق على الدور الذي قدمته مدينة تنس في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب وبين مدن المغرب وبلاد الأندلس لأنها كانت مرفأ آمنًا للسفن ويتسع للسفن الكبيرة ولقد انعكس اهتمام أهلها بالتجارة على زيادة إنتاجهم من الزراعة وتربية الماشية وذلك لتوفير حاجيات التجار والغرباء، ناهيك عن المشاركة بأموالهم في حركة التجارة، فأهتم أهل وهران بزراعة القمح والشعير (82) وتربية الأبقار والأغنام، كما اشتغلوا بتربية النحل وإنتاج العسل، بل وزاد إنتاجهم عن حاجتهم، فقاموا بتصديره إلى باقي مدن بلاد المغرب وحمله تجار الأندلس معهم إلى بلادهم؛ فازدهرت حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب، وتكاثر التجار قاصدين وهران غدوًا ورواحًا حتى أصبحت تلك المدينة أهم مراكز التجارة في المغرب الأوسط(83)، وكثر ثراء أهلها وقدوم التجار عليها وظهر ذلك جليًا على عمارتها وتحضر أهلها حتى باتت مدينة مجهزة بكل العمارات والمؤسسات الحضارية كالمدارس والمساجد والبيمارستانات والحمامات والفنادق وغيرها (84)، واحتلت مدينة وهران مكانة متميزة على ساحل الشمال الأفريقي؛ فقد عُدت أهم موانئ الشمال الأفريقي على البحر المتوسط (85)، وانتقل منها التجار إلى بقية مدن بلاد المغرب، فكان

مينائها من أهم الموانئ وتتردد عليه سفن التجار الأندلسيين بلا انقطاع (86)، بل يخرج منها أكثر احتياجات أهل الأندلس (87)، لذا ساهمت مدينة وهران في إثراء حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري.

ساهمت بعض مدن بلاد المغرب الأوسط في حركة التجارة لاختلاف منتوجاتها عن غيرها من مدنه، ومن أهمها مدينة مرسى الخرز الواقعة على ساحل البحر المتوسط؛ إذ اشتهرت باستخراج المرجان (88)، الذي وصف بجودته فقصدها التجار واستعانوا بأهل البلاد في استخراجه؛ إذ كان يخصص ما يقرب من خمسين قارب لاستخراجه وكل قارب يحمل عشرين رجلًا (89)، ولقد راجت تجارة المرجان بين مدن بلاد المغرب وفتحت مجالًا كبيرًا لعمالة أهل المغرب آنذاك لما يتطلبه استخراجه من أفراد كثر؛ إذ يستخدمون آلات ذات ذوائب حيث تدار هذه الآلات من أعلى المراكب، فتلف خيوطها على ما يقاربها من المرجان، ثم يقوم الرجال بجذبه إلى ظهر المركب ويباع بأغلى الأسعار (90)، ونظرًا لأهمية المرجان التجارية وغزارة إنتاجه؛ فقد وجد له سماسرة لبيعة، وصدر إلى مختلف مدن بلاد المغرب ومعظم البلدان. (91)

ازدهرت حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب، وشاركت في ذلك المدن الواقعة في الصحراء جنوبي المغرب الأوسط، مشاركة إيجابية في حركة التجارة مثل مدينة واركلان التي كانت همزة الوصل بين مدن بلاد المغرب وبلاد السودان وازدهرت فيها حركة التجارة بين الشمال والجنوب، حتى اعتبرت أهم المراكز التجارية إلى بلاد السودان (92)، ووارکلان واقعة في واحة من غابات النخيل، حتى طبقت شهرتها الآفاق في إنتاج التمور (93)، وصدر منها إلى بقية مدن بلاد المغرب، وجني أهلها أرباحًا طائلة من حركة التجارة المزدهرة آنذاك، حتى أن أهلها لعبوا دور الوسيط التجاري، بل شاركوا بأموالهم في حركة التجارة بين بلاد السودان (94) وبقية مدن بلاد المغرب، وحرص تجار واركلان من أهلها على إقامة علاقات طيبة مع أهل البلاد التي يتعاملون معهم واتخذوها أسواقًا لتجارتهم، فحرصوا على إقامة علاقات المودة والتجارة مع بلاد كوكوا في السودان الشمالي الغربي (95)، وشارك أهل مدينة واركلان في حركة التجارة وقاموا فيها بدور فعال، بل حققوا أرباحًا وفيرة، ينم عنها اتخاذهم القصور واستخدامهم العبيد وركوبهم الخيل وحازوا قدرًا كبيرًا من الغنى والثراء (96).

نشطت مدن بلاد المغرب الواقعة على خطوط التجارة واتسع نشاطها التجاري ومن ثم التبادل التجاري بينهما، ومنها مدينة جزائر بني مزغناي الواقعة على طريق التجارة الذي يبدأ من قلعة أبي الطويل وينتهي في مدينة تلمسان ومن تلمسان إلى بقية مدن بلاد المغرب، ومن ثم لعبت مدينة جزائر بني مزغناي دورًا مهمًا في حركة التجارة؛ إذ تعتبر واحدة من أهم موانئ شرق المغرب الأوسط، وللمدينة مرسى مأمون تتجه إليه السفن القادمة من أفريقية وبلاد الأندلس طوال العام (97)، ويتصل بالمدينة فحص متيجة الذي يمدها بإنتاجه الوفير (98)، ويربط مدينة جزائر بني مزغناي طريق تجاري هام يصلها بالمغربين الأوسط والأقصى وهو الطريق الذي يمر بفحص متيجة ويمر عبر هذا الفحص إلى المغرب الأقصى (99)، كما يربط المدينة مع مدينة تلمسان التجارية التي عرفت بأنها باب أفريقية وقفل بلاد المغرب (100)، وشاركت مدينة جزائر بني مزغناي بإنتاجها الحيواني خاصة في حركة التجارة بتربية الأبقار والأغنام وكثرة إنتاجها من السمن وكذلك إنتاج العسل حيث أنه زاد عن استهلاكهم فقاموا بتصديره إلى المناطق الأخرى (101).

"الطرق التجارية بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى"
"وأهم منتجات المدن الواقعة عليها"

تبدأ غالبية هذه الطرق من مدينة تلمسان وأخرى من مدينة تاهرت وأهمها:

- الطريق من تلمسان – جراوة – صاع – تابريدا – وادي مسون – مزاوروا – مضيق تازا – قلعة جرماط – باب زناته – كرانطة – نمالته – فاس (102).

وهناك طريق تجاري أخر يبدأ من تلمسان أيضًا عبر مضيق تازا – صاع – جبل بني يرنيان – تابريدا – وصولًا إلى فاس (103) وتحتل مدينة تابجريت أهمية خاصة على هذا الطريق، لأنها تقع على ساحل البحر المتوسط وتعتبر ميناءً مهمًا لمضيق تازا؛ إذ كانت تحط بها السفن التجارية لكونها ملتقى لقوافل التجارة القادمة من مدن بلاد المغرب الأقصى وأشهرها مدينتا فاس وسجلماسة (104).

حظيت طرق تجارية أخرى بين مدن بلاد المغرب بنفس الأهمية، ومنها الطريق الذي يصل إلى مدينة مليلة بالمغرب الأقصى ويبدأ من تلمسان ويمر بمضيق تازا – صاع – أجرسيف – قلوع جارة – مليلة (105) وقد سيطرت قبيلة مكناسة على تجارة مدينة أجرسيف لأن كثير من بطونها حول هذه المدينة (106).

ويبدأ طريق آخر من تلمسان حتى مدينة أرشقول؛ ويمر بالمدن التالية: تلمسان – قلعة ابن الجاهل – مدينة تيزل ويصل هذا الطريق إلى ساحل البحر المتوسط عند مدينة أرشقول والتي تعتبر ميناء لمدينة تلمسان؛ وتحظى أرشقول بأهمية خاصة بالنسة لمدينة تلمسان فهي "فرضة تلمسان" وتبعد عنها عشرين ميلًا (107)، ومن مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط يبدأ طريق تجاري هام وينتهي في مدينة سجلماسة مرورًا بمدن تاهرت – مدينة أوزكا – وصولًا إلى سجلماسة، وحظيت مدينة أوزكا بأهمية تجارية كبيرة، فضلًا عن كونها مقرًا لإمارة أسستها قبيلة مسرة الزناتية (108)، وجدت طرق تجارية أخرى غاية في الأهمية اخترقت المغرب الأقصى، ومثلت سجلماسة أهمية كبيرة مع هذه الطرق، لأنها مدخل بلاد السودان (109)، ومن ثم تميز المغرب الأقصى بكونه منطقة عبور إلى بلاد السودان (110)، ومن أهم هذه الطرق طريقان يربطان بين مدينتي فاس وطنجة أحدهما فاس – كرت – البصرة – قصر صنهاجة – قلعة ابن خروب – طنجة، والآخر فاس – سداك – ماسنة، وادي درعة – طنجة (111).

طريق آخر يبدأ من فاس وصولًا إلى مدينة سبتة مرورًا بمدن المغرب النشطة في حركة التجارة مثل فاس – قلعة ورطيطة – حصن زالغ – مدينة جاجين – تشوس – سور كتامة – مدينة أفتس – حجر النسر- ومنه إلى مدينة سبتة (112)، واشتهر هذا الطريق بكثرة تجاراته وتكالب القبائل من أجل السيطرة عليه خاصة وأن مدينة مكناس التي تقع عليه قريبة من مدينة فاس (113).

وقد سيطرت على هذا الطريق قبيلة مكناسة التي أسست مدينة مكناس واتخذت اسمها من اسم هذه القبيلة (114). ويربط مدينة فاس مع مدينة سجلماسة طريقان أولهما فاس –

صفروي – الأصنام – سجلماسة وثانيهما فاس – لواته – مغيلة – سوق لميس – مطماطة – جبل درن – أرفود – سجلماسة (115). وقد تصارعت القبائل القاطنة هناك على هذا الخط التجاري فيما بينها من أجل السيطرة عليه وعلى مدنة، وسيطرت قبيلة مطماطة على المنطقة الواقعة بين فاس وصفروي وسكنت جبل عرف باسمها "جبل مطماطة (116)"، كما دخلت قبيلة بني يرنيان في الصراع التجاري من أجل الاستحواذ على هذا الطريق؛ فسيطرت على المناطق المجاورة لوادي ملوية (117) الذي يمر عبره هذا الطريق التجاري الهام بين مدن بلاد المغرب الأقصى، ودخلت بطون من قبائل بني مرين في حلبة الصراع لنيل نصيب من مكاسب حركة التجارة الواقعة بين وادي ملوية وسجلماسة وكانوا على درجة من القوة، حتى وصفهم البعض بأنهم قبائل رحالة ولا يدخلون تحت طاعة سلطان (118)، ودخلت قبائل أخرى في حلبة الصراع من أجل السيطرة على هذا الطريق التجاري الهام بين مدن بلاد المغرب، فسيطرت بطون من بني يفرن على منطقة جبال درن، كما تحكمت في طرقه الرئيسية ومفازاته (119).

نشطت حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب وتكالبت القبائل في السيطرة عليها وعلى سبيل المثال الطريق التجاري الذي يبدأ من أغمات جنوبي المغرب الأقصى وحتى بلاد السوس الأقصى مرورًا بمدن المغرب مثل: أغمات وريكة – نفيس – أفيفن – تامرورت بجبال درن – ترفا بجبال درن أيضًا – إيجلي – وادي السوس، مدينة نول التي تعتبر أول الصحراء جنوبًا (120)، ومعلوم أن مدينة وريكة تعتبر منطقة تجارية هامة وتُحمل إليها التجارات بسبب مينائها الهام على المحيط الأطلنطي وهو ميناء ماسة (121)، ولقد تصارعت القبائل فيما بينها على هذا الطريق، فسيطرت هوارة على مدينة أغمات بتجارتها المعروفة آنذاك والتي تعبرها بالقوافل التجارية جنوبًا (122)، وإن نافستها على هذا الطريق قبائل صنهاجة الجنوب وخاصة حول مدينة نول لمطة الواقعة في قلب الصحراء الكبرى وتبعد عن مدينة سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة (123) طريق تجاري آخر يبدأ من سجلماسة وينتهي في مدينة أودغشت ويمر عبر مدن بلاد المغرب مثل سجلماسة – تامدلت – بئر الجمالين – جبل أزوز – أزقى – أوكازنت – بلدوران – جبل أزجونان – أودغشت، وقد تم حفر عدة آبار على هذا الطريق التجاري الهام بين مدن بلاد المغرب ويعزى بداية حفرها إلى عبد الرحمن بن حبيب (124)، وقد تصارعت القبائل من أجل السيطرة على هذا الطريق، فانفردت قبيلة مداسة بالسيطرة على المنطقة الممتدة من مدينة تامدلت إلى السوس الأقصى (125)، كما سيطرت على المنطقة الواقعة جنوبي المغرب والأقصى قبائل صنهاجة الجنوب وحتى بلاد السودان ضربت بطونها في مناطق الصحراء، وكان زعيم تلك القبائل يركب في مائة ألف ويسيطر على ما طوله مسيرة شهرين في تلك الصحاري المجاورة للمغرب الأقصى (126)، وما من شك في أن هذه الطرق التجارية التي تربط مدن بلاد المغرب هي حجر الزاوية فيما طرأ على بلاد المغرب من ازدهار وسببًا في زيادة إنتاج هذه المدن مما وفر لها رواجًا اقتصاديًا يحتم على الدراسة رصد أهم منتجات هذه المدن على الصعيد الزراعي والحيواني والتعديني والصناعي لكي تكتمل صورة حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وأثرها على اقتصاديات بلاد المغرب ودولة المستقلة وتطور العمران فيه.

معلوم إرتهان الازدهار التجاري بين مدن المغرب بمدى ازدهار الإنتاج الزراعي والحيواني والتعديني والصناعي وإن كان بدائيا، يتضح هذا إذا ما عرفنا تحول الكثير من بلاد المغرب إلى الفلاحة والزراعة(127)، بعد قيام الدول المستقلة، ناهيك عن مراحل التطور التي طرأت على الصناعات اليدوية، وإدخال محاصيل نقدية جديدة مثل القطن

والفول، فضلا عن تشجيعهم للزراعة والرعي وتوفير احتياجاتها(128)، لذا اهتم أهل مدن بلاد المغرب بإنتاج المحاصيل النقدية، فازدهرت زراعة القمح والشعير وغيرها من الحبوب في مدينة صفاقس(129)، وكثر إنتاج القمح والشعير في مدينة باجة، حتى وصفت بكثرة مخازنها من الحبوب، وذلك لكثرة مياهها من العيون العذبة، فضلا عن مياه الأمطار والأنهار(130).

اشتهر إقليم تلمسان بكثرة مزارعه وذلك لوفرة المياه في هذا الإقليم بالاعتماد على نهر شلف، لذا عمل أهله بالزراعة (131)، وكثر إنتاجهم من الحبوب حتى فاض عن حاجة السكان، مما أدى إلى رخص الأسعار وتصدير الفائض، كما كثر في هذا الإقليم إنتاج الفاكهة وما حولها مثل السفرجل والتين والكروم (132)، وكثر كذلك إنتاج القمح في مدينة تنس وما حولها لخصوبة ترتبتها وكثرة مياهها حتى فاض الإنتاج عن الحاجة وصدر معظمه إلى بلاد الأندلس (133).

فاقت مدن المغرب الأقصى غيرها في الإنتاج الزراعي مما ساعد على ازدهار التجارة بين مدنه وغيرها من مدن بلاد المغرب، زرع القمح وغيره من الحبوب في سجلماسة (134). وتم تصدير الفائض عن حاجتهم إلى مدينة أودغشت (135)، وذاعت شهرة منطقة سلا بإنتاج الشعير والقمح والحنطة وساهمت مساهمة فائقة في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب والفائض عن الاستهلاك قام أهل سلا بتصديره(136)، كما زاد إنتاج الحبوب في منطقة أغمات وذلك لكثرة مياهها، بل أنها كانت تغذي بقية مدن المغرب الأقصى وخاصة منطقة الصحاري بفائض إنتاجها ووصفت أغمات برخص أسعارها وكثرة خيراتها (137).

ازدهرت تجارة التمور بين مدن بلاد المغرب من شرقه إلى غربه، وذلك لكثرة أشجار النخيل في بلاد الجريد، كما زرع أهل قسطيلية الحناء والكمون والكروياء، ومعلوم أن الحناء اعتبرت من أهم المنتجات الزراعية في العصور الوسطى (138)، كما كثر إنتاج التمور في منطقة نفزاوة (139)، فضلًا عن إنتاجها من الزيتون والفاكهة، غير أن مدينة قفصة من بلاد الجريد كانت أكثر المناطق إنتاجًا للتمور وذلك لكثرة نخيلها حتى وصف البعض تمورها بأنه يشبه بيض الحمام (140)، واشتهرت مدن نفطة والحامة بإنتاجهما الكثير من التمور (141)، وانتشرت زراعة القطن والفول في مدينة قفصة وكذلك في مدينة تونس (142)، وهذه المحاصيل النقدية وفرت الأموال لأهل المغرب وساعدت على رواج حركة التجارة بين مدنة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

ولم يتوقف أمر الإنتاج الزراعي في بلاد المغرب عند هذا الحد، بل وجدت هذه المحاصيل في مدن أخرى من بلاد المغرب، فانتشرت مزارع قصب السكر في قابس(143)، وكذلك زاد إنتاج الموز بها، فضلًا عن أشجار التوت لإنتاج الحرير، ووصفت قابس بأن بها غابات من الزيتون والتين والكروم والتمور وغيرها (144)، لذا جني أهل قابس أرباحًا طائلة من هذه المنتجات وراجت تجارتهم بين مدن بلاد المغرب؛ إذ قاموا بعصر الزيتون وتصدير زيته إلى مختلف البلدان، وقاموا أيضًا بتجفيف التمور واستخراج العسل منه، وصدرت قابس جل أنواع الفاكهة إلى القيروان وغيرها (145) واشتغل أهل قابس أيضًا بصناعة الحرير وذلك لوفرة شجر التوت بها(146)، بل قامت على الحرير الصناعات المختلفة نتيجة كثرة المطارز لديهم وطوروا من إنتاجهم، ساعدهم ذلك حتى بلغ إنتاجهم أجود أنواع الحرير (147) الذي صُدر إلى كل مدن بلاد المغرب في ظل ازدهار حركة التجارة؛ لأنه لم يعرف آنذاك حريرًا أجود منه (148).

استخرج أهل صفاقس زيت الزيتون وراجت تجارته وذلك لكثرة أشجار الزيتون بها (149)، كما عمل أهل الزاب أيضًا باستخراج الزيت الذي وصف بجودة أنواعه، حتى كان لزيتها أسواقًا خاصة؛ وصُدر إلى مختلف مدن بلاد المغرب (150) والمشرق، كما أنتج أهل مدينة قسنطينة العسل والحنطة والسمن وقاموا بتصديره إلى معظم البلدان، فضلًا عن تصديرهم الزيت والأقمشة الكتانية إلى مدن المغرب الأوسط (151)، وازدهرت المحاصيل النقدية في مدينة سجلماسة وعلى رأسها القطن والكروياء والكمون والحناء وتم تصديرها إلى مختلف مدن بلاد المغرب والعالم الإسلامي (152)، وذلك لأنها كانت من أهم المنتجات الزراعية التي تدخل تجارة العصور الوسطى (153)، وفي مدينة سجلماسة أيضًا راجت تجارة التمور والفاكهة، بل وصف تمرها بأنه مختلف أشكاله، وفاق غيره من تمور بلدان المغرب (154)، كما انتشرت البستنة (155) في سجلماسة فأنتجت العنب وغيره من الفاكهة، وبلغ مساحة بعض بساتينها أثني عشر فرسخًا (156)، وتم تجفيف فاكهة هذه البساتين وصدرت إلى مدن بلاد المغرب في ظل رواج حركة التجارة وخاصة إلى أودغشت وغربي أفريقيا (157).

احتلت مدينة درعة مركزًا متميزًا بين مدن بلاد المغرب في إنتاج الحناء وكذلك الكمون والنيلج الذي كان يستخدم في الصباغة والكروياء وصدرت منتجاتها إلى مختلف مدن المغرب، وبيعت الحناء المنتجة من درعة بأغلى الأثمان (158)، كما انتشرت زراعة شجر التاكوت في درعة ووصف بجودته لأنه استخدم في دباغة الجلود واحتل مكانة مرموقة كمحصول تجاري بين مدن بلاد المغرب، حتى صدر إنتاجه إلى معظم مدن بلاد المغرب وخاصة غدامس (159)، ويمكننا القول أن مدن بلاد المغرب زاد إنتاجها الزراعي واهتمت بالمحاصيل النقدية ووجدت أسواق رائجة لها في مدن بلاد المغرب مما شجع على قدوم التجار لأسواق هذه المدن وخاصة المدن الواقعة على طرق التجارة التي سبقت الإشارة إليها والتي تبدأ من القيروان(160) وغيرها بالمغربين الأوسط والأقصى، حتى كانت قوافل التجارة آتية ذاهبة بين المشرق الإسلامي ومدن بلاد المغرب (161).

شكلت الثروة الحيوانية في مدن بلاد المغرب حجر الزاوية على الصعيد التجاري خاصة أن القبائل تشكل معظم بنيته، والقبائل ينصب جل اهتمامها على تربية الإبل والأغنام والخيل؛ لذا اهتم أهل المغرب بحرفة الرعي وتربية الماشية بأنواعها وذلك للحصول على ألبانها وأصوافها ولحومها (162)، فقاموا بتربية الأبقار علاوة على الأغنام والماعز والإبل والخيول التي حرصوا على اقتنائها؛ لذا شكلت الماشية بأنواعها أساس اقتصاد أهل البلاد ومصدر معيشتهم وثروتهم وتجارتهم(163)، ناهيك عما جلبته الثروة الحيوانية لأهل المغرب من ازدهار للصناعات الحيوانية المختلفة، وظهر مردود كل ذلك واضحًا على ازدهار التجارة الداخلية بين مدن بلاد المغرب وعلى الصعيد الخارجي أيضًا، وذلك بما حققه أهل المغرب من ثراء نتيجة تربية الماشية والإبل وتصديرها؛ ولكي تتضح هذه الأهمية التجارية بين مدن بلاد المغرب، لا بد من الوقوف على إنتاج بعض هذه المدن من الثروة الحيوانية؛ فقد اهتم أهل مدينة بونة بتربية الأبقار، فزاد إنتاجهم من السمن واللحوم عن الحاجة (164)، وكذلك زاد إنتاجهم من الألبان وصدرت ماشيتهم إلى المدن المغربية الأخرى فكانت معظم تجارتهم (165)، كما اهتم أهل مدينة القيروان بالثروة الحيوانية والقيروان إحدى أهم رؤوس طرق التجارة إلى المغربين الأوسط والأقصى، واهتم أهل مدينة القيروان والأقاليم المحيطة بها بتربية الماشية وخاصة الأغنام، فكثرت اللحوم ورخصت الأسعار (166)، وجني أهل مدينة القيروان أرباحًا وفيرة، وازدهرت تربية الأبقار في مدينة سوسة فكثرت أبقارها ووصف أهلها بأنهم "بقارة" (167)، ناهيك عن الإبل

والأغنام؛ فامتلكوا ثروة حيوانية كبيرة من قطعان الماشية والإبل، حتى وصفت لحوم مدينة سوسة بأنها أطيب وأرخص أنواع اللحوم في بلاد المغرب (168)، ساهم هذا الإنتاج في ازدهار حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

كثر الاهتمام بتربية الأغنام والماعز والأبقار على طول ساحل بلاد المغرب وخاصة المغرب الأقصى حيث المراعي الخصبة الغنية بالنبات في مدينة سلا(169)، وكثرت الأبقار في المدن الواقعة على خطوط التجارة بين بلاد المغرب مثل فاس وصفروي (170)، أما مضيق تازا فقد حاز على النصيب الأوفى من تربية الأغنام؛ بسبب ملائمة مراعيه وصلاحها وغناها حتى أنه كان يستخرج من الشاه الواحدة من شياه مضيق تازا مائتي أوقية من الشحوم (171)، وفي منطقة جبال فازاز اهتم السكان بتربية الأغنام والأبقار حتى زاد ثرائهم(172)، وكذلك الخيل حتى نسبت أحد فصائل لهم وعرفت باسمهم، وفي مدينة تامسنا اهتم أهلها بتربية الماشية وعلى رأسها الأغنام والأبقار وصدروها إلى مدن بلاد المغرب الأخرى في ظل ازدهار حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب ناهيك عما توفر لدى أهلها من السمن والألبان (173)، وعمل أهل جبال درن ومناطق سجلماسة بتربية الأغنام والماعز، واستنتجوا أفضل أنواعها ووصفت لحومها بجودتها وطيبها، كما وصفت أصوافها بأنها من أجود الأنواع(174).

تعتبر تربية الأغنام والماشية عماد اقتصاد أهل المغرب بل جل رأسماله، وكانت معظم أموال أهل الظعن من الشاه والبقر، أما الخيل والإبل، فكانت معاش أهل الانتجاع (175)، وعمل أهل المغرب بالرعي الصحراوي وشبه الصحراوي، وظلوا وراء أغنامهم ومواشيهم بحثًا عن المراعي الخصبة، حتى أنهم كانوا يسيرون وراء أغنامهم من الزاب إلى وادي ملوية وحتى سجلماسة (176)، كما كثرت الأغنام والماعز والأبقار في غربي المغرب الأوسط عن بقية الشمال الأفريقي (177)، ومن ثم راجت تجارتها بين مدن بلاد المغرب على صعيد التجارة الداخلية وجلبت الكثير من الأموال لأهل المغرب على صعيد التجارة الخارجية وخاصة إلى بلاد الأندلس وذلك لطيب لحومها ورخص أسعارها (178)، واشتهر أهل المغرب الأوسط باقتناء وتربية أجود أنواع الأغنام التي عرفت بجودة لحومها وأصوافها ونُسب هذا الصوف إلى بعض قبائلهم مثل قبائل بني مرين، فعرف في الاندلس باسم ميرينو Mirino (179)، إذ كان ناعم الملمس وحظي بشهرة عالمية مكنته من غزو أوربا (180)، ومن ثم يمكن القول أن الثروة الحيوانية شكلت أهمية كبيرة بالنسبة لاقتصاد أهل مدن بلاد المغرب، لأنها كانت إحدى السلع الرئيسية في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب وأحد عوامل ازدهارها، ناهيك عن ارتباطها بالصناعة التي استفادت من أصوافها وألبانها ولحومها وشحومها (181).

التعدين والصناعات المختلفة ودورها في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب

احتل التعدين مكانة متميزة في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب ومع غيره من البلدان؛ فقد نشط أهل المغرب في استخراج الملح لما له من أهمية في التجارة الداخلية بين مدن الشمال الأفريقي وسلعة أساسية في التجارة مع بلاد السودان بصفة خاصة، ووجد الملح في منطقة الواحات القريبة من الصحاري؛ إذ يتم تجميع مياه العيون في سبخات حيث يتراكم فيها الملح ثم يجمع (182)، وكان الملح على ثلاثة أنواع منها الأبيض والأحمر والأصفر، وقام أهل مدينة بونة باستخراج الحديد بكميات كبيرة (183)، حتى وصفه البعض بشدة الجودة (184)، ونظرًا لذلك فقد لعب حديد مدينة بونة دورًا مهمًا على صعيد التجارة بين مدن المغربين الأوسط والأقصى ناهيك عن تصديره للأقطار المجاورة (185)، كما استخرج الحديد والفضة من مدينة مجانة (186)، بالإضافة لمعادن الرصاص والزنك والنحاس والكحل (187)، وفي مناطق بلاد الجريد وجد الزجاج الصافي الذي وصف بجودته الفائقة حتى صدر إلى مدن بلاد المغرب الأخرى بالإضافة إلى تصديره لمختلف الأقطار (188)، وتم استخراج الزنك والنحاس من مدينة قسنطينة، ونظرًا لأهمية مدينة قسنطينة وإنتاجها من الزنك والنحاس، فقد تكالبت القبائل للسيطرة عليها والاستفادة بمعادنها، وإن انفردت قبيلة كتامة بذلك نظرًا لانتشار مضاربها حولها (189).

وجد معدن النحاس في منطقة تادلا واحتل مكانة مهمة على صعيد التجارة بين مدن بلاد المغرب الأخرى، كما صدر إلى كثير من الأقطار (190)، كما وجد في المنطقة الواقعة ما بين درعة وسجلماسة، واحتلت الصناعات النحاسية مكانة مرموقة على صعيد التبادل التجاري وخاصة مع بلاد السودان (191)، أما بالنسبة للمعادن النفيسة مثل الذهب فقد وجدت مناجمه في المنطقة المجاورة لمضيق تازا، ووصفت تلك المناجم بنقائها وجودتها (192)، وأيضًا وجدت أنقى أنواع الفضة في مدينة درعة وعلى مسافة قريبة من مدينة مكناسة الزيتون (193)، وجد المرجان بكثرة في مدن بلاد المغرب الساحلية وتفردت مدينة سبتة بأفضل أنواعه من بين مدن بلاد المغرب الأخرى (194)، حتى أن أهل الشمال الأفريقي حققوا الكثير من المكاسب من وراء الاتجار فيه وكانت له شهرة بلغت أن أقيمت أسواق خاصة له، حيث يتم تصنيعه وحكه وتفصيله خرزًا وثقبه وتنظيمه وتصديره إلى مدن بلاد المغرب الأخرى داخليًا وإلى بلاد السودان وغيرها، وساعد على تفرد سبتة في هذا المجال؛ أنها كانت أحد أهم محاور طرق التجارة القادمة من الأندلس إلى بلاد السودان (195).

الصناعة واثراء حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب

لعب الإنتاج الصناعي بمختلف إفرازاته دورًا مهمًا في إثراء حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي؛ فقد ازدهرت صناعة غزل الصوف ونسجه في مدن بلاد المغرب، وذلك لاهتمام أهله بتربية الماشية بأنواعها (196)، واشتهر أهل مدينة سوسة بصناعة الصوف، واهتم أهلها بحرفة الغزل، وصنعوا منه الثياب الرفيعة الرقيقة والتي نسبت للمدينة فعرفت بالثياب السوسية (197)، لذلك تكالب التجار على مدينة سوسة التي توسعت في بناء الأسواق والفنادق والحمامات وصدر إنتاجها الصناعي إلى بقية مدن بلاد المغرب ومختلف البلدان (198)، أما مدينة صفاقس فقد اشتهرت بدباغة

الجلود بالإضافة إلى اهتمام أهلها بصناعة الصوف، غير أن شهرة المدينة ارتبطت بدباغة الجلود بعد أن استوردوا مادة الدباغة التي تستخرج من شجر التاكوت من مدينة درعة بالمغرب الأقصى (199)، وقام أهل صفاقس بتصدير الجلود إلى معظم البلدان (200)، أما صناعة الأقمشة والثياب الملونة والأقمشة الكتانية فقد تفردت مدينة قفصة بصناعتها ووصفت بجودتها (201)، كما اشتهرت مدينة درجين بصناعة أجود الثياب الملونة حتى نسبت لها فعرفت بالثياب الدرجينية (202)، وقد نشطت حركة التجارة بين تلك المدن وصدرت تلك الثياب بأنواعها المختلفة إلى بقية مدن بلاد المغرب (203).

عرف عن أهل جبل ونشريس اهتمامهم بصناعة الأبسطة من الصوف (204)، كما ازدهرت بها الصناعات الخاصة بالخيل مثل اللجم والسروج وكل متطلبات الخيل(205)، كما اشتهرت مدينة تلمسان بصناعة الثياب الصوفية، حتى قال البعض أن معاش أهلها وارتزاقهم من صناعة الصوف وحياكته وكان يصدر إلى مختلف البلدان ومدن المغرب شرقًا وغربًا (206)، واستخدم أهل تلمسان المواد المختلفة لصباغة المصنوعات الصوفية ومنها النيلج الذي استورده أهل تلمسان من مدينة درعة بالمغرب الأقصى (207)، مما يدل على احتياج مدن المغرب لبعضها البعض ورواج حركة التجارة بين تلك المدن.

ساهمت الصناعة بقدر وافر في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب؛ وإن لم تكن لها الصدارة في حركة التجارة آنذاك وخاصة في بعض أجزاء بلاد المغربين الأوسط والأقصى (208)، كما أن التصنيع كان بدائيًا آنذاك ومن ثم عمل أهل المغرب بالصناعة كل حسب تركيبته السكانية، وبالقدر الذي ناله من التطور والحضارة فكانت هناك الصناعات البسيطة التي اختصت بضروريات الحياة منها مثل حرف الحياكة والجزارة والحدادة وغيرها (209)، كما اقتصرت صناعاتهم على الإنتاج الحيواني والزراعي مثل المنسوجات الصوفية وصناعات الألبان ودبغ الجلود والتي حققت رواجًا تجاريًا بين مدن بلاد المغرب نظرًا لاهتمام أهل المغرب بتربية الماشية والأغنام؛ ومن ثم ذاعت شهرة كثير من مدن المغرب بدباغة الجلود مثل فاس وسجلماسة ودرعة وأغمات (210)، كما عكف أهل مدن بلاد المغرب على توظيف الصناعات المعدنية في حركة التجارة؛ وإن اقتصر اهتمامهم على المعادن النفيسة كالذهب والفضة والمعادن الأخرى كالنحاس وغيرها، خاصةً أن بعضها اختصت بإنتاجه بعض مدن بلاد المغرب مثل منطقة درعة الغنية بإنتاج الفضة(211)، كما وجدت الفضة أيضًا في مدينة مكناسة الزيتون (212)، ووجد معدن الذهب في منطقة جبال تازا وحقق أهل المغرب ثراءً كبيرًا من وراء رواج تجارتهم بين مدن بلاد المغرب، بل وصف الذهب في منطقة جبال تازا بأنه من أجود واعتق الذهب في العالم (213)، وحرص أهل المغرب على احتكار بعض المواد التعدينية لحاجتهم لها في التجارة مع بلاد السودان مثل الملح والمرجان والودع والخرز علاوة على مصنوعات النحاس (214) وغيرها، ومن ثم راجت التجارة وازدهرت بين مدن بلاد المغرب.

دور موانئ بلاد المغرب الأقصى في تنشيط حركة التجارة وأهم مدنه التجارية

لعبت الكثير من مدن بلاد المغرب دورًا مهمًا في حركة التجارة، إذ شاركت مدينة مليلة بفائض إنتاجها الزراعي والحيواني في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب من ناحية والأندلس من ناحية أخرى، ناهيك عن كونها ميناء حتى أنها غدت مرفأ تجاريًا هام بالنسبة لتجار الاندلس، لذا كثرت بها الحمامات والأسواق(215)، ومع ازدهار حركة التجارة في مدينة مليلة، اتخذها تجار الأندلس نقطة ارتكاز وانطلاق للتوغل بتجارتهم في المغرب الأقصى، كما استقرت بها جاليات أندلسية للمشاركة في حركة التجارة إلى بلاد السودان

(216)، وحظيت مدينة سلا بأهمية خاصة على صعيد التجارة بين مدن بلاد المغرب وذلك لوفرة إنتاجها الزراعي والحيواني من ناحية ولوقوعها على نقطة التقاء نهر أم الربيع والمحيط الأطلنطي من ناحية أخرى (217)، ومن ثم باتت مدينة سلا من أهم موانئ بلاد المغرب الأقصى على المحيط الأطلنطي، الذي أفضى إلى تكثيف حركة التجارة بينها وبين بلاد الأندلس، وأصبحت مقرًا لكثير من تجار الأندلس الذين يعملون في التجارة مع المدن الداخلية بالمغرب الأقصى باستخدام نهر أم الربيع وصولًا إلى داخل البلاد، عرفت مدينة سلا بإنتاجها الفائض من الحبوب مثل الشعير والحنطة والفول والحمص وغيرها الذي لعب دورًا مهمًا في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب من ناحية وبلاد الأندلس من ناحية أخرى (218)، وذكر أحد الباحثين أن السفن كانت تأتي لمدينة سلا من مدن بلاد الأندلس مثل أشبيلية وغيرها وتعود هذه السفن بفائض إنتاجها من الحبوب والغنم والبقر (219)، علاوة على ما حصلوا عليه من البضائع من المدن الداخلية بالمغرب الأقصى عبر نهر أم الربيع.

وجد في مدينة سلا الكثير من الأسواق والتجارات وعرف أهلها بسعة أموالهم، وعلى بعد عشرين ميلًا من سلا وجد مرسى فضالة الذي كانت تقصده السفن وتعود محملة بالبضائع وحول المدينة وجدت أعداد كبيرة من النعام التي اعتاد أهل المغرب صيدها مطاردة بالخيول (220)، وذلك للاستفادة عن شحومها في صناعة الدواء وخاصة علاج الصمم، كما قام الأهالي بتصدير بيضها إلى مدن وبلدان العالم الإسلامي (221)، وكان أهل مدن بلاد المغرب يتبادلون البضائع والمتاجر مع بعضهم البعض، إذ اعتاد أهل مدينتي فاس والبصرة المتاجرة مع أهل مدينة سلا وكانوا يجلبون إليها مختلف البضائع التي يتكاثر عليها التجار هناك (222).

وتمتعت مدينة سجلماسة بموقع متميز جمع بين وفرة الماء وكثرة القنوات التي قام الأهالي بحفرها مما ساعدهم على الاستكثار من زراعة النخيل (223)، ولما كانت الأنهار تفيض صيفًا؛ فقد اهتم أهل سجلماسة بزراعة أنواع الحبوب المختلفة وخاصة الحبوب السنوية وبصفة خاصة القمح (224)، ونظرًا لرواج حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب، فقد اعتمد أهل مدينة أودغشت على محصول القمح من سجلماسة لسد حاجاتهم (225)، كما زرع أهل سجلماسة الدخن والذرة واحتلت هذه الحبوب مكانة مرموقة في التجارة بين مدن بلاد المغرب من ناحية وبلاد الأندلس من ناحية أخرى(226).

اهتم أهل مدينة سجلماسة بالبستنة، لذا كثرت أعنابها وفواكهها وزاد إنتاجها من الفواكه حتى حقق رواجًا تجاريًا بين مدن بلاد المغرب خاصة أن أهلها قاموا بتجفيف الأعناب والفاكهة وتصديرها إلى مدينة أودغشت وغربي أفريقيا (227)، كما زرع أهل سجلماسة المحاصيل النقدية كالقطن والحناء والكروياء والكمون، وراجت تجارتها بين مدن بلاد المغرب وحقق أهلها ثراءً كبيرًا وصدر الفائض عن مدن بلاد المغرب إلى جميع العالم الإسلامي (228)، واهتم أهل سجلماسة باصطياد حيوان اللمط من الصحاري المجاورة لمدينة سجلماسة وحققوا أرباحًا طائلة من وراء تجارته مع مدن بلاد المغرب؛ إذ استفادوا بجلده ولحمه الذي وصف بارتفاع أسعاره وقيمته (229)، ومن جلده صنعت الدرق اللمطية التي كانت خفيفة الحمل، ولا تخترقها السهام وقام أهل سجلماسة بتصديرها إلى كل مدن المغرب والأندلس (230)، ومثلت سجلماسة مدينة صناعية بين مدن بلاد المغرب، إذ ازدهرت فيها الصناعات الصوفية، واشتهرت ثيابها الصوفية، التي ارتبطت بشهرة نساء سجلماسة في غزل الصوف وصباغته، وراجت تجارة الثياب السجلماسية بين مدن بلاد المغرب على صعيد التجارة الداخلية، ناهيك عن تصديرها إلى مدن المشرق الإسلامي وبلاد الأندلس(231).

لعبت مدينة سجلماسة دورًا مهمًا كمحور للتجارة بين مدن بلاد المغرب، فصدرت القمح والعنب المجفف والنحاس المصنع الذي يأتيها من مدينة فاس والمنسوجات الصوفية وأنواع التمر والعطور وكذلك الآلات الحديدية التي تأتيها من مدن داي وتادلا، كما كان يأتيها الخرز وقلائد المرجان من مدينة سبتة، كذلك يأتيها الملح من فاس أو تغازة؛ كل تلك المنتجات تصدرها سجلماسة إلى مدينة أودغشت(232)، وتحملها القوافل إلى بلاد السودان واستطاعت سجلماسة أن تلعب دورها المهم كوسيط تجاري بين مدن بلاد المغرب بسبب علاقاتها مع المراكز التجارية شرقًا وغربًا وشمالي بلاد المغرب، فكان التجار يتجهزون منها إلى كل بلاد المغرب وغيرها (233).

عرفت مدينة مكناسة باسم مكناسة الزيتون نظرًا لكثرة إنتاجها من الزيت، فقد فاقت أكثر مدن بلاد المغرب الأقصى إنتاجًا للزيت (234)، ولعبت هذه المدنية دور مهمًا على صعيد حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب وذلك لوقوعها على طرق التجارة الرئيسية بالمغرب الأقصى، والقوافل التجارية عليها صادرة واردة (235)، لذا اشتغل معظم أهلها بالتجارة، كما اشتهرت المدينة بإنتاجها من الكتان وكانت مكناسة تصدر معظم إنتاجها منه إلى مدينتي فاس وسلا (236)، في ظل نشاط حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب، وصدرت هذه المدينة أيضًا إنتاجها من القطن، إلى مدن بلاد المغرب الأخرى، التي اعتمدت عليه في صناعة الثياب القطنية التي أغنت بلاد المغرب عن استيراده من دول أخرى، حتى قال البعض أن المغاربة لم يحتاجوا لغيره من باقي الأقطار (237)، وصفت مدينة أغمات بخصوبة أراضيها ووفرة مائها وصحة هوائها (238)، كما كانت المراعي كثيرة الخيرات، مع رخص أسعار إنتاجها(239)، من قصب السكر والسمسم والبقول واللوز والجوز والنخيل، ولعبت هذه المنتجات دورًا كبيرًا في حركة التجارة بين مدن بلاد المغرب (240)، ترتب على ذلك أن قصدها الكثير من التجار الغرباء الذين شاركوا في قوافل التجارة، حتى قال البعض أن كل تاجر كان يشارك في القافلة الواحدة بما يزيد على مائة وثمانين جملًا محملة بالبضائع (241)، ومن فرط ثراء أهل المدينة كان تجار مدينة أغمات يضعون على أبواب دورهم علامات متفق عليها تدل على درجة ثراء كل تاجر (242)، والغالب على الظن أن هذا السلوك المتفق عليه بين التجار كان لزرع الثقة عند التجار الغرباء القادمين إلى أغمات لكي يختاروا من يتعاملون معه، ولقد قصد أغمات عدد كبير من التجار من مختلف مدن بلاد المغرب وكذا من مختلف أقطار العالم الإسلامي، حتى ازدحمت المدينة وملئت بالأسواق وأصناف المتاجر (243)، وذكر البكري وصفًا دقيقًا لأهمية مدينة أغمات التجارية وكثرة التجار الغرباء بها وكذلك ثراء أهلها بقوله أنه كان يذبح في اليوم الواحد مائة ثور وألف شاه (244)، ويرجع احتلال مدينة أغمات هذه المكانة التجارية بين مدن بلاد المغرب وجود ميناء لها على ساحل المحيط الأطلنطي وهو ميناء قوز، كما أنه آخر موانئ المغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلنطي (245)، حقق فائض الثروة السمكية رواجًا تجاريًا كبيرًا بين مدن بلاد المغرب؛ فقد امتهن أهل المغرب حرفة الصيد البري والبحري، واعتمد الصيد البحري على طول شواطئ بلاد المغرب، لذا كثرت مصايده وتنوعت أسماكه، فعمل أهل بنزرت بصيد الحوت، حتى عرفت بأنها أكثر البلاد حوتًا (246)، علاوة على صيد الأسماك الذي تعدد أنواعها حتى بلغت اثنا عشر نوعًا، فكانوا يصيدون نوعًا خاصًا من الأسماك في كل شهر مختلفة عن الشهور الأخرى (247).

واشتهرت مدينة مرسى الخرز باستخراج المرجان واستخرجوا أفضل أنواعه، بل توقفت اقتصاديات بعض المدن في بلاد المغرب على استخراجه (248)، بل وجد له سماسرة اقتصر عملهم على المتاجرة فيه وجنوا أرباحًا طائلة من وراء ذلك؛ إذ كانت تجارته رائجة

بين مدن بلاد المغرب والبلدان الأخرى (249)، لذا يمكن القول أن فائض إنتاج الثروة البحرية في مدن بلاد المغرب أوجد نشاطًا تجاريا رائجا في بلاد المغرب وبين مدنه.

خلاصة القول: إن اهتمام أهل بلاد المغرب وحكامها بتعبيد الطرق للتجارة، وإحياء مدنها، وتأسيس مدن جديدة على هذه الطرق ووصلها ببعضها وبسط الأمن في ربوع البلاد علاوة على تحسين الإنتاج الزراعي كمًا ونوعًا؛ باتساع رقعة الزراعة واستزراع محاصيل جديدة وخاصة المحاصيل النقدية، وتطوير نظام الري وبناء مخازن المياه للاستفادة من مياه الأمطار، ثم ساروا على نفس الدرب مع إنتاجهم الحيواني، من البقر والغنم والإبل والخيل، وقاموا بتهجينها واستنباط أفضل أنواعها، أدى هذا التطور إلى زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني حتى فاض عن الحاجة؛ فشارك أهل المدن في ازدهار حركة التجارة بمنتوجاتهم الزراعية والحيوانية، وما قام عليها من صناعات مثل الملابس الصوفية والكتانية والحريرية والتي اشتهرت كل مدينة من بلاد المغرب بإحداها دون غيرها ناهيك عن البسط والأدوات اللازمة للإبل والخيل من أرسان وقتب وقرابيس وسروج ولجم وغيرها. ساهمت الزيادة في النشاط التعديني والصناعات التي قامت عليه بازدهار النشاط التجاري. انتعشت مدن بلاد المغرب بتنوع منتجاتها وتعبيد الطرق التجارية بها وتأمينها وحفر الآبار في الصحراء الكبرى، وعلا في الآفاق ذكرها فأمست مقصد التجار من مختلف دول العالم الإسلامي، وحققوا ربحًا وفيرًا، أعان الدول القائمة بها آنذاك على الاستقرار وتحقيق الثراء للرعايا والحكام في آن. صكت آذان الطامحين إلى السلطان ثروات البلاد وتحقيق أهلها للثراء، فسارع دعاة الفاطميين إليها وبسطوا سلطانهم عليها وبما جازوه من أموال وثراء في ستة عقود أعدوا الجيوش لفتح مصر وتحقيق أغلى أمانيهم مما يفصح عن الأموال التي درتها حركة التجارة في بلاد المغرب وإنتاج مدنه.

هوامش البحث

(1) محمد بركات البيلي، الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، المؤرخ المصري، (آداب القاهرة)، عدد 11 يوليو 1993، ص329 – 331.
(2) المرجع السابق، ص314 – 315.
(3) اليعقوبي، كتاب البلدان، (ليدن 1892 م)، ص349 – 350.
(4) ذكر اليعقوبي أن المسافة بين طبنة والقيروان عشر مراحل؛ (البلدان، ص350).
(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، (الجزائر 1857 م)، ص51.
(6) المصدر السابق، ص65 – 66.
(7) ياقوت، معجم البلدان (بيروت 1995 م) جـ5، ص130 – 131.
(8) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن 1909 م)، ص247.
(9) إقبال موسى بن علاوة، دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة عين شمس (غير منشورة) ص59 – 60.
(10) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت 1971 م)، جـ6، ص153.
(11) ذكر البكري أن طول هذا الطريق يبلغ ثلاث وأربعون مرحلة؛ (المغرب، ص70 – 74).
(12) ابن خلدون، العبر، جـ7، ص14.
(13) ابن حوقل، صورة الأرض، (بيروت 1964)، ص94 – 95؛ رابح بن أحمد بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، (الجزائر 1968)، ص182.
(14) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق شالميطا، (الرباط 1979)، جـ5، ص370 – 372.
(15) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، (بيروت 1970 م)، ص142.
(16) مثل قبيلة مغراوة التي كانت تسيطر على منطقة شرق مدينة وهران؛ (البكري، المغرب، ص72 – 74).
(17) ابن حوقل، صورة الأرض، ص83 – 85.
(18) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (ليدن 1889)، ص88.
(19) حسن محمود، قيام دولة المرابطين، (القاهرة 1957) ص21؛ Julien; A. – History of North Africa, (London, 1970), P. 341.
(20) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، (بيروت 1983 م)، ص157.
(21) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (نابولي 1972 م)، جـ3، ص255 – 256.
(22) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، (ليدن 1885)، ص80.
(23) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (باريس 1948 م)، جـ1، ص200 – 201.
(24) اليعقوبي، البلدان، ص356.

(25) ابن منصور، قبائل المغرب، (الرباط 1968 م)، جـ1 ص340.
(26) ابن حوقل، صورة الأرض، ص88 – 90.
(27) ابن خلدون، العبر، جـ7، ص52 – 54.
(28) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص253.
(29) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة 1917 م)، جـ5، ص182.
(30) ابن خلدون، العبر، جـ4، ص44 – 45؛
Hill, D: - Islamic Arechitecture in North Africa, (London 1976), P. 110.
(31) ذكر البعض أن بطون بني يفرن سيطروا تمامًا على مدينة تلمسان حتى إن هذه المدينة اعتبرت قلب مضاربهم؛
Gautier, E. F:- Le Pussé de Afrique du Nord, Le Siecles, Obscurs du Maghreb, (Paris 1952), P. 388 – 389.
(32) اليعقوبي، البلدان، ص352؛ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر (بيروت 1965 م)، جـ1، ص207.
(33) حيث سيطرت بطون بني سنجاس على وادي شلف؛ (ابن خلدون، العبر، جـ7، ص47).
(34) ابن خلدون، العبر، جـ7، ص86؛ Gautier, op. cit., P. 383.
(35) ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نشر أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتابي تحت عنوان: المغرب العربي في العصر الوسيط، (الدار البيضاء 1964 م)، جـ3، ص153؛ رابح بونار، المغرب العربي، ص82.
(36) الشماخي، السير، (بدون تاريخ)، ص145 – 146؛ Gautier, op. cit., P. 228.
(37) ابن خلدون العبر، جـ7، ص76؛ محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، (القاهرة 1963 م)، جـ3، ص33 – 34.
(38) يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، (الجزائر 1980 م)، جـ1، ص85.
(39) العبدري، رحلة العبدري المسماه الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، نشر جامعة محمد الخامس، (الرباط بدون تاريخ)، مجموعة الرحلات، رقم4، ص11.
(40)- Marçais, G: Tlemcen, Ville d, art et Histoire, Revue Afriqaine, 79, (1936), P.P, 29 – 45. يحيى بن خلدون، بغية الرواد، جـ1، ص91 – 92؛
(41) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، (الاسكندرية 1985 م)، ص176.
(42) نفس المصدر، ص179 – 180.
(43) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص140.
(44) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، (القاهرة 1977 م)، جـ2، ص246.

(45) ابن الشباط، وصف الأندلس وصقلية، جزء من كتاب صلة الصمت وسمة المرط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، (سنة 1967 – 1968) مجلد14، ص150.
(46) مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت بدون تاريخ)، ص139.
(47) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، (الدار البيضاء 1980 م)، جـ1، ص96 – 98.
(48) مجهول، الاستبصار، ص134.
(49) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (نابولي 1975 م)، جـ5، ص534؛ موريس لومبار، الإسلام في عظمته الأولى، (بيروت 1977 م)، ص66.
(50) ابن خلدون، العبر، جـ7، ص76 – 77؛ عبد الواحد زنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا، (العراق 1980 م) منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ص58.
(51) عبد الله العروي، تاريخ المغرب "محاولة في التركيب" ترجمة ذوقان قرقوط، الطبعة الأولى (بيروت 1977 م)، ص137.
(52) حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص20؛
Lombard, M.:- The Golden Age of Islam, (Oxford, 1975 PP. 1– 2).
(53) ارشيبلد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال (القاهرة 1960 م)، ص255؛ محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون وتاريخهم السياسي، (القاهرة 1969 م)، ص20.
(54) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص313.
(55) ابن حوقل، صورة الأرض، ص65.
(56) الحبيب الجنحاني، الصراع الأموي الفاطمي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري، ص18؛ Les cahiers de Tunisie, 26, 1978 (Tunis 1978)
(57) الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، (بيروت 1980)، ص81 – 84.
(58) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي ص306 – 308.
(59) مجهول، الاستبصار، ص175.
(60) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص228.
(61) الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، مراجعة علي عبد الواحد وافي (الرياض 1979 م)، ص509 – 510.
(62) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص351؛ 167 – Lombard, op. cit, p.p. 166
(63) ابن سعيد، المغرب، جـ1، ص92، 207.
(64) الإدريسي، نزهة المشتاق جـ3، ص263، 269.
(65) نفس المصدر، جـ3، ص263.

(66) ابن سعيد، الجغرافيا، ص126.
(67) مجهول، الاستبصار، ص153.
(68) الوزان، وصف أفريقيا، ص428.
(69) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص265.
(70) الوزان، وصف أفريقيا، ص428.
(71) محمود إسماعيل، مغربيات، (فاس 1977)، ص162.
(72) البكري، المغرب، ص135 – 138.
(73) محمود إسماعيل، سياسة الأغالبة الخارجية، (القاهرة 1972 م)، ص153.
(74) انظر: - Imamuddin, S. M: Commercial Relations of Spain with Ifriqiyah in the 10 th Century Islamic Culture, 38, (1964). P. 10.
(75) البكري، المغرب، ص62.
(76) ياقوت، معجم البلدان، جـ2، ص48.
(77) البكري، المغرب، ص61؛
Bermijo: La Cora de Tudmir, (AL– Andalus 1972), Vol. 37, P. 154.
(78) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص252؛ البيلي، الغلاء والمجاعات، ص317.
(79) ابن سعيد، الجغرافيا، ص112، 142؛ مجهول، الاستبصار، ص133.
(80) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، (القاهرة 1955 م)، ترجمة 269، 1135، 1347؛ Imamuddin, Commercial, p. 11 – 12.
(81) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص252 – 253.
(82) ابن حوقل، صورة الأرض، ص79.
(83) العبدري، رحلة، ص278.
(84) الوزان، وصف أفريقيا، ص399 – 400.
(85) ابن حوقل، صورة الأرض، ص79.
(86) Bermijo, op. cit, p. 154
(87) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص252؛ Imamuddin, commercial, p. 11
(88) ابن سعيد، الجغرافيا، ص43.
(89) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص290؛ Lombard, op. cit, P. 190
(90) نفس المصدر والصفحة.
(91) ابن حوقل، صورة الأرض، ص77.
(92) أبو زكريا، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق إسماعيل العربي، (الجزائر 1979 م)، ص144 – 145؛ العدوي، بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، (القاهرة 1970 م)، ص11
(93) ابن سعيد، الجغرافيا، ص508.
(94) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغربي الكبير، (القاهرة 1966 م)، جـ2، ص573.
(95) نفس المرجع والصفحة؛ أوليفر: موجز تاريخ إفريقية، (القاهرة 1960 م) ص67

(96) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص296.
(97) مجهول، الاستبصار، ص132.
(98) ياقوت، معجم البلدان، جـ5، ص53.
(99) مجهول، الاستبصار، ص132.
(100) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص250؛ بروفنسال، نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، (باريس 1948 م)، ص18.
(101) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3 ص258.
(102) ابن حوقل، صورة الأرض، ص87 – 88.
(103) البكري، المغرب، ص88.
(104) نفس المصدر والصفحة.
(105) نفس المصدر والصفحة.
(106) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص130 – 135
(107) أبو الفدا، تقويم البلدان، (باريس 1830 م)، ص123.
(108) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة 1977 م)، ص499.
(109) الاصطخري، المسالك والممالك، (القاهرة 1961 م)، ص40 – 41
(110) الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة، المؤرخ العربي، العدد الخامس، ص145 – 148؛ سنوسي يوسف، زناتة والخلافة الفاطمية، الطبعة الأولى، (القاهرة 1986 م)، ص349.
(111) البكري، المغرب، ص109 – 112.
(112) نفس المصدر، ص113 – 115.
(113) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص244.
(114) الوزان، وصف أفريقيا، ص219؛ ابن منصور، قبائل المغرب، جـ1، ص312.
(115) البكري، المغرب، 146 – 147.
(116) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص123.
(117) نفس المصدر، جـ7، ص52.
(118) السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء 1954) جـ3، ص3؛ عبده بدوي، مع حركة الإسلام في إفريقية، (القاهرة 1970)، ص67.
(119) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص135؛ أحمد مختار العبادي؛ الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد 20، (الإسكندرية 1967 م)، ص66.
(120) البكري، المغرب، ص160 – 164.
(121) اليعقوبي، البلدان، ص360 – 361.
(122) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص232.
(123) نفس المصدر، جـ3، ص224.

(124) البكري، المغرب، ص156 – 159؛ عبد العزيز عبد الله، مغربية الصحراء في أطوار التاريخ، صحيفة صحراء المغرب، عدد 55 – 56 (1958 م) ص2 – 6؛ Lessard, J. M: Sidjilmassa, La ville et Ses Relations Commeriales au XI Siecles, Dapres El – Bakri Hesperis, 10 (1969), P. 25 – 26.
(125) اليعقوبي، البلدان، ص360.
(126) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص181 – 182.
(127) العروى، تاريخ المغرب، ص147.
(128) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، (القاهرة 1965) جـ1، ص366.
(129) الوزان، وصف أفريقيا، ص348.
(130) البكري، المغرب، ص56؛ Lombard, op. cit, P. 164
(131) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، جـ1، ص91.
(132) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص258
(133) ابن سعيد: الجغرافيا، ص112 – 113؛ محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، (الكويت 1983) ص7
(134) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص164.
(135) Lewicki, T: west African Food in the Middle Ages According to Arabic Sources, (Cambridge, 1974), P. 39
(136) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص169.
(137) البكري، المغرب، ص153.
(138) محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون وتاريخهم السياسي، (القاهرة 1969)، ص20
(139) الوزان، وصف إفريقيا، ص515.
(140) البكري، المغرب، ص47.
(141) نفس المصدر، ص38.
(142) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص285؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص75.
(143) البكري، المغرب، ص17
(144) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص280.
(145) نفس المصدر والصفحة.
(146) البكري، المغرب، ص17
(147) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص279.
(148) البكري، المغرب، ص17 – 18
(149) التجاني، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (تونس 1968 م)، ص68 – 69.
(150) مجهول، الاستبصار، ص17.
(151) الوزان، وصف أفريقيا، ص428.
(152) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص226.
(153) شعيرة، المرابطون، ص20؛ سنوسي يوسف، دور زناتة، ص316.
(154) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5 ص164.
(155) الجنحاني، الحياة الاقتصادية، ص141.
(156) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت 1969 م)، ص42 – 43.

(157) انظر: Lewicki, op. cit, PP. 31, 67
(158) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص171؛ مجهول؛ الاستبصار، ص206
(159) مجهول، الاستبصار، ص207.
(160) اليعقوبي، البلدان، ص348.
(161) ابن خرداذبة، المسالك، ص71 – 84.
(162) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، (تونس 1968)، ص158؛ لومبار، الإسلام، ص149.
(163) ابن حوقل، صورة، ص97.
(164) مجهول، الاستبصار، ص127.
(165) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3 ص293.
(166) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص224 – 226.
(167) الوزان، وصف أفريقيا، ص456.
(168) البكري، المغرب، ص34.
(169) التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، (الرباط 1958 م)، ص423.
(170) البكري، المغرب، ص147.
(171) مجهول، الاستبصار، ص186 – 188.
(172) الجزنائي، زهرة الأس في بناء مدينة فاس، (الجزائر1922 م)، ص43–45.
(173) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص236 – 237.
(174) مجهول، الاستبصار، ص187.
(175) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط 1972 م) ص282.
(176) بروفنسال، نخب تأريخية، ص47.
(177) سنوسي يوسف، دور زناتة، ص324.
(178) مجهول، الاستبصار، ص179.
(179) لومبار، الإسلام، ص151.
(180) Hoffmann, A History of Morocco and The Lands of The Moors, (New York 1965), PP. 59 – 60.
(181) لومبار، الإسلام، ص149.
(182) البكري، المغرب، ص150.
(183) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص226.
(184) انظر: Lombard, op. cit. P. 66.
(185) ابن حوقل، صورة الأرض، ص77.
(186) ياقوت، معجم البلدان، جـ5، ص56.
(187) اليعقوبي، البلدان، ص349.
(188) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.
(189) انظر: Lombard, op. cit, P. 181.
(190) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص241.
(191) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص286.
(192) البكري، المغرب، ص118.

(193) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، (القاهرة 1949 م)، ص362.
(194) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص158.
(195) الطيبي، النشاط الاقتصادي في سبتة، ص164.
(196) الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، ص128.
(197) مجهول، الاستبصار، ص119.
(198) التجاني، رحلة، ص25.
(199) البكري، المغرب، ص152.
(200) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص279.
(201) الوزان، وصف أفريقيا، ص515.
(202) مجهول، الاستبصار، ص159.
(203) الوزان، وصف أفريقيا، ص428.
(204) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص174.
(205) ابن سعيد، الجغرافيا، ص140.
(206) يحيى بن خلدون، بغية، ص91.
(207) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص102.
(208) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، جـ2، ص25.
(209) ابن خلدون، مقدمة كتاب العبر، (بيروت 1956 م)، ص334.
(210) عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي، ص229 – 230.
(211) ابن خرداذبة، المسالك، ص88.
(212) المراكشي، المعجب، ص362.
(213) البكري، المغرب، ص118.
(214) عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي، ص249، 327.
(215) ابن عذارى، البيان المغرب، جـ1، ص196.
(216) عوده حسان، نزوح القبائل البربرية إلى الأندلس، وأثرها في المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس (1995)، ص248.
(217) ابن حوقل، صورة الأرض، ص83.
(218) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص329.
(219) الطاهري أحمد، عامة قرطبة، ص85.
(220) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص237 – 238
(221) المصدر السابق، ص238.
(222) المصدر السابق، ص239.
(223) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، جـ3، ص139.
(224) البكري، المغرب، ص151.
(225) انظر: Lewicki, op. cit, pp. 39 – 40

(226) الجنحاني، نظام ملكية الأراضي في المغرب الإسلامي، المؤرخ العربي، عدد 23 (1983م) ص30
(227) البكري، المغرب، ص146 – 150؛ Lessard, op. cit, Pp. 31 – 32
(228) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص226.
(229) عن التفاصيل انظر Lewicki, Op. Cit, Pp. 93 – 94.
(230) مجهول، نبذ تأريخية في أخبار البربر في العصور الوسطى، نشر ليفي بروفنسال، (الرباط 1934م)، ص27، 33، 34؛ ابن عذارى، البيان، جـ1، ص254
(231) الجنحاني، الحياة الاقتصادية، ص143.
(232) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص164، 286؛ Lombard, Op. Cit, PP. 65 – 75.
(233) الإدريسي، نزهة، جـ5، ص226.
(234) مجهول، الاستبصار، ص187 – 188.
(235) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص241.
(236) الوزان، وصف أفريقيا، ص220.
(237) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص135.
(238) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ5، ص171
(239) البكري، المغرب، ص153.
(240) ابن حوقل، صورة الأرض، ص90.
(241) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص231 – 233.
(242) المصدر السابق، ص231 – 233.
(243) البكري، المغرب، ص86.
(244) المغرب، ص153.
(245) مجهول، الاستبصار، ص207.
(246) المصدر السابق، ص125.
(247) الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ3، ص288 – 289، Lombard Op. Cit. P 66.
(248) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، جـ2 ص93.
(249) مجهول، الاستبصار، ص126 – 127.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

1- **الإدريسي**:
[أبو عبد الله محمد بن محمد إدريس الحمودي الحسني، ت/ 558هـ- 1163م]
– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جـ3 (نابولي 1972)، جـ5، (نابولي 1975)

2- **الأصطرخي**:
[إبراهيم بن محمد الفارس المعروف بالكرخي، ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي]
– المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة 1961م.

3- **ابن بشكوال:**
[أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك، ت/ 578هـ - 1182م]
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، جزء 1، 2 القاهرة 1955م

4- **البكري:**
[أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت/ 487هـ - 1103م]
– المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، الجزائر 1857م.

5- **التادلي:**
[أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى، ت/ 627هـ - 1229م]
- التشوف إلى رجال التصوف، الرباط 1958م.

6- **التجاني:**
[أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد، ت أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي]
- رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس 1958م.

7- **الجزنائي:**
[أبو الحسن علي، ت/ أواخر القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي]
- زهرة الآس في بناء مدينة فاس، الجزائر 1922م.

8- **ابن حزم:**
[علي بن محمد بن سعيد، ت/ 456هـ - 1063م]
- جهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة 1977م.

9- **ابن حوقل:**
[أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي].
- صورة الأرض، بيروت 1964م.

10- **ابن حيان**:
[حيان بن خلف بن حسين، ت/ 469هـ - 1076م]
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق شالميطا، الجزء الخامس، الرباط 1979م.

11- **ابن خرداذبة**:
[أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت/ 300هـ / 913م]
- المسالك والممالك، ليدن 1889م.
12- **ابن الخطيب**:
[لسان الدين بن محمد بن الخطيب السليماني، ت/ 776هـ - 1374م]
- الجزء الثالث من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نشر أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني بعنوان: المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء 1964م.
13- **ابن خلدون:**
[عبد الرحمن بن محمد، ت/ 808هـ - 1406م]
- مقدمة كتاب العبر، بيروت 1956م
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، أجزاء 4، 6، 7، بيروت 1971م.
14- **الرقيق القيرواني**:
[إبراهيم بن القاسم القيرواني، ت/ النصف الأول من القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي]
- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق، المنجي الكعبي، تونس 1968م
15- **ابن أبي زرع:**
[أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، ت النصف الأول من القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي]
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط 1972م.
16- **أبو زكريا**:
[يحيى بن أبي بكر، ت/ 471هـ - 1078م]
- كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر 1979م.
17- **ابن سعيد:**
[أبو الحسن علي بن موسى بن محمد، ت/ 685هـ - 1286م]
- كتاب الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، بيروت 1970م.
- المُغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة 1977م.
18- **السلاوي:**
[أحمد بن خالد الناصري، ت 1315هـ - 1897م]
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، جـ3، الدار البيضاء 1954م.
19- **ابن الشباط:**
[محمد بن علي بن الشباط المصري التوزري، ت 681هـ - 1282م]
- وصف الأندلس وصقلية، جزء من كتاب صلة الصمت وسمة المرط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد 14، 1967 – 1968م.

20- **الشماخي:**
[أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت/ 928هـ - 1522م]
- السير، بدون تاريخ.
21- **العبدري**:
[أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، توفي بعد سنة 700هـ/ 1300م]
- رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط 1968م، الرحلات، رقم 4.
22- **ابن عذارى**:
[محمد بن عذارى المراكشي، ت/ القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي]
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، باريس 1948م.
23- **أبو الفدا**:
[عماد الدين إسماعيل، ت/ 732هـ - 1332م]
- تقويم البلدان، باريس 1830م.
24- **ابن الفقيه**:
[أبو بكر أحمد بن محمد، ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي]
- مختصر كتاب البلدان، ليدن 1885م.
25- **القزويني:**
[زكريا بن محمد بن محمد، ت/ 682هـ - 1283م]
- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت 1969م.
26- **مجهول**:
[ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي]
- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد الإسكندرية 1958م.
27- **مجهول**:
[ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي]
- نبذ تأريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، نشر ليفي بروفنسال، الرباط 1934م.
28- **المراكشي:**
[عبد الواحد بن علي التميمي، ت القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي]
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949م.

29- **المقدسي**:
[شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت/ 388هـ - 998م]
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن 1909م.
30- **الوزان**:
[الحسن بن أحمد ت 944هـ - 1537م]
- وصف أفريقيا، ترجمة د. عبد الرحمن حميدة، مراجعة د. علي عبد الواحد وافي الرياض 1399هـ / 1979م.
31- **ياقوت**:
[شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت/ 626هـ - 1229م]
- معجم البلدان، أجزاء 2، 5، بيروت 1965م.
32- **يحيى بن خلدون:**
[أبو زكريا، ت/ 780هـ - 1379م]
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر 1980م.
33- **اليعقوبي**:
[أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت/ 284هـ - 897م]
- كتاب البلدان، ليدن 1892م.

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة:

1- **أوليفر، وجون فيج:**
- موجز تاريخ أفريقية، القاهرة 1960م.
2- **بروفنسال، ليفي**:
- نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، باريس 1948م.
3- **بونار، رابح بن أحمد**
- المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر 1968م.

4- **الجنحاني، الحبيب** (دكتور)
- دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت 1980م.
5- **الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد:**
- تاريخ الجزائر، الجزء الأول، بيروت 1965م.
6- **الحريري، محمد عيسى (دكتور)**
- الدولة الرستمية، الكويت 1983م.
7- **حسن أحمد محمود (دكتور)**
- قيام دولة المرابطين، القاهرة 1957م.
8- **دبوز، عبد الواحد: (دكتور)**
- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق 1980م.
10- **سعد زغلول عبد الحميد، (دكتور)**
- تاريخ المغرب، الجزء الأول، القاهرة 1965م.
11- **سنوسي يوسف إبراهيم: (دكتور)**
- زناتة والخلافة الفاطمية، الطبعة الأولى، القاهرة 1986م.
12- **السيد عبد العزيز سالم: (دكتور)**
- تاريخ المغرب الكبير، الجزء الثاني، القاهرة 1966م.
13- **شعيرة: محمد عبد الهادي: (دكتور)**
- المرابطون وتاريخهم السياسي، القاهرة 1969م.
14- **عبد الله العروي: (دكتور)**
- تاريخ المغرب "محاولة في التركيب" ترجمة ذوقان قرقوط، الطبعة الأولى، بيروت 1977م.
15- **عبده بدوي: (دكتور)**
- مع حركة الإسلام في أفريقية، القاهرة 1970م.
16- **العدوي: (دكتور)**
- بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، القاهرة 1970م.
17- **عز الدين أحمد موسى.**
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت 1983م.
18- **لومبار، موريس:**
- الإسلام في عظمته الأولى، بيروت 1977م.
19- **لويس، أرشيبلد:**
- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق عزبال، القاهرة 1960م.
20- **محمود إسماعيل عبد الرازق: (دكتور)**

- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، الدار البيضاء 1980م.
- سياسة الأغالبة الخارجية، القاهرة 1972م.
- مغربيات، فاس 1977م.

21- **مرزوق:**
- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت بدون تاريخ.

22- **ابن منصور: عبد الوهاب:**
- قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط 1968م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

- Gautier, E. F:
Le pussé de L. Afrique du Nord, Les Siecles Obscurs du Maghreb, Paris, 1952
- Hill, D:
Islamic Architecture in North Africa, London, 1967.
- Julien, A:
History of North Africa, London, 1970.
- Lewicki, T:
West African food in the Middle Ages According to Arabic Sources, Cambridge, 1974.
- Lombard, M:
The Golden Age of Islam, Oxford, 1975.

رابعًا: الدوريات والمجلات العربية:

1- **البيلي، محمد بركات (دكتور)**
- الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري، المؤرخ المصري، آداب القاهرة، عدد 11 يوليو 1993م.

2- **الجنحاني، حبيب: (دكتور)**
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة، المؤرخ العربي، العدد الخامس.
- نظام ملكية الأراضي في المغرب الإسلامي، المؤرخ العربي، عدد 23، 1983م
- الصراع الأموي الفاطمي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري؛ Les cahiers de Tunisie, 26, 1978, Tunis 1978.

3- **العبادي، أحمد مختار: (دكتور)**
- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد 20، الإسكندرية 1967م.
4- **عبد العزيز بن عبد الله:**
- مغربية الصحراء في أطوار التاريخ، صحيفة صحراء المغرب، عدد (55-56) 1958م.

خامسًا: الدوريات والمجلات الأجنبية:

- Imamuddin, S. M:
- Commercial Relations of spain with Afriqiyah in the 10 th century, Islamic culture, 38 (1964).
- Lessard, J. M:
- SidjiLmassa, La ville et Ses Relations Commeriales au X1 siecles, Dapres El – Bakri Hesperis, 10 (1969).
- Marçais, G:
- Telimcen, ville d, Art et d,Histoire Revue Afriqaine, 79 (1936)

سادسًا: رسائل جامعية غير منشورة:

- **أقبال موسى بن علاوة: (دكتور)**
- دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، مكتبة كلية الآداب، جامعة عين شمس.
- **عوده حسان أبو شيخة: (دكتور)**
- نزوح القبائل البربرية إلى الأندلس وأثرها في المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، رسالة دكتوراه – كلية الآداب، جامعة عين شمس 1995م.